نعمائن المعرفة القرآنية
قرآن يتلى لإنسانية ترقى

ما حكم التجويد؟

مستل من كتاب

المنهج النبوي في التعليم القرآني

عبد السلام مقبل المجيدي

المبحث الثاني:

تعليمه ﷺ ماهية التجويد وحكمه

يناقش هذا المبحث حقيقة التجويد، ومدى تعليم النبي ﷺ له، والمصطلحات التي كانت تطلق عليه في العهد النبوي والقرون المفضلة، ويصل من ذلك إلى حكمه الشرعي، ومدى تطبيق المسلمين على مختلف الأعصر لهذا الحكم.. ولتحقيق مقصد المبحث فقد انقسم إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأصول الشرعية لعلم التجويد.

المطلب الثاني: مكونات علم التجويد- كما علمها النبي ﷺ-.

المطلب الثالث: حكم تعلم أحكام التجويد كما علمه النبي ﷺ.

المطلب الأول: الأصول الشرعية لعلم التجويد

دل على التجويد في عصر النبي ﷺ وأصحابه مصطلحات أخرى غير هذا المصطلح (التجويد) مثل: الترتيل، والتحسين، والتزيين، والتحبير، والترجيع.

و هذه المصطلحات- كما سنرى من كيفية تعليمها من النبي ﷺ لأصحابه إن شاء اللّه عزّ وجلّ- تستخدم في وصف القراءة **إذا جمعت مرتبتين في النطق: الإعراب للكلام (تبيينه وإظهاره في نطقه العربي الفصيح)، والزينة في الأداء باستخدام قواعد التزيين الصوتية العربية.**

http://www.al-maktabeh.com

ولم يرد من هذه الكلمات الخمس في القرآن الكريم سوى كلمة الترتيل[١]، والبقية وردت في السنة النبوية، فقد كانت هذه الأصول هي المكونة لعلم التجويد التطبيقي.

ومرد التقعيدات النظرية والتطبيقية في علم التجويد:

إلى أمرين يشكلان الأصلين الشرعيين لعلم التجويد في صورته التامة: **النصوص الشرعية، وقواعد اللغة العربية** من حيث كون اللسان الذي نزل به القرآن عربياً، ومن حيث رجوع تلك القواعد إلى ما اختاره النقل الشرعي منها، أو يقال أخذت مادة علم التجويد الوضعي والتطبيقي من علمين: علم القراءة (المشافهة)، وعلم اللغة العربية، ولنأخذ في تفصيل ذلك:

الأصل الأول لعلم التجويد: تعليمهم اللفظ القرآني من حيث كونه نزل بلسان عربي مبين:

فيقرأ القرآن باللفظ العربي[٢] المنقول في أصل لفظه أو في كيفية التصويت به ولكن على الصورة المنقولة بالمشافهة، إذ القراءة والأداء أمران يتعلقان باللفظ ويبنيان على وجوه اللغة.

وأول أجزاء المعاني التي منها يلتئم النطق هو الصوت ثم الصوت بتقطيع الهواء يصير حرفاً، ثم عند جمع الحروف يصير كلمة ثم عند تعيين بعض الحروف المجتمعة على هيئة مخصوصة يصير لغة عربية، ثم بكيفية تقطيع الحروف يصير معرباً، ثم بتعيين بعض وجوه الإعراب يصير قراءة منسوبة إلى الأحرف السبعة، ثم إذا صار

---

(١) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

(٢) لا نتناول ها هنا تفاصيل هذا الموضوع، من أنواع اللغات (اللهجات) العربية في القرآن فقد أفردوه بالتصنيف، قال أبو بكر الواسطي في كتابه الإرشاد في القراءات العشر: «في القرآن من اللغات العربية خمسون لغة»، وانظر فيه: كتاب لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم لأبي عبيد، وقد عدها السيوطي في الإتقان (٢/ ٤٧٦)، وحسب البحث تقرير الحقائق التعليمية في هذا الموضوع.

مكتبة المهتدين الإسلامية

كلمة عربية صحيحة معربة صارت دالة على معنى من المعاني فتتقاضى للتفسير الظاهر[١].

❖ **فقد علمهم النبي ﷺ أن القرآن نزل بلسان عربي مبين:** كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥] **فعربية القرآن: كالحوالة من الشارع لاستخدام قوانين العربية في تلاوة القرآن وكتابته** من إعراب وبناء وتصريف وإظهار وإدغام وإمالة وتغليظ وتفخيم وترقيق وفتح وإسكان وتخفيف وتحقيق... لا من حيث العموم بل في إطار المتناقل.

❖ وعلى هذا فالعربية أصل النطق بألفاظ القرآن الكريم، كما «هي أصل فهم القرآن ومجموعها متواتر، وفي أهميتها لإدراك كيفية قواعد التلفظ والتفهم قيل:

حفظ اللغات علينا ... فرض كفرض الصلاة

فليس يضبط دين ... إلا بحفظ اللغات[٢]

وقد كان لفظ القرآن الكريم ميسراً بلسانه ﷺ سهلاً مذللاً لتتم وظيفة التبليغ:

ودون ذلك التيسير لا يتم أداء هذه الوظيفة كما قال جل جلاله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، فقد كان يعلمهم كلاماً عربياً بيناً مظهراً باللسان، لا كلاماً خفياً، فإن مدلول كلمة لسان يظهر **أن النبي ﷺ علم أصحابه هيئة أداء اللفظ الداخلي والخارجي:** فلا بد من أن

---

(١) انظر: جواهر القرآن ص ٣٦، مرجع سابق.

(٢) نقل كلام الفارابي والبيتين الإمام السيوطي في المزهر (١/ ٣٠٢).

http://www.al-maktabeh.com

تكون مبينة واضحة كما قال جل جلاله: ﴿رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ [الطلاق: ١١] «أي في حال كونها بينة واضحة جلية» [1]، وهذا يشمل اللفظ الخارجي والداخلي من الهيئات الصوتية الموغلة في الجزئية.

ولهذا أثره العظيم في بيان كيفية تلاوة القرآن الكريم في جهتين:

١- جهة صيرورة موافقة اللغة العربية ركناً من أركان القراءة المقبولة.

٢- جهة خضوع أداء ألفاظ القرآن الكريم لأحوال اللسان العربي الأدائية من إظهار وإدغام، وفتح وإمالة، وتخفيف وتثقيل، وتحريك وإسكان، وحذف وإثبات، ومد وقصر...

وإذا كان هذا هو الأساس الأول لعلم التجويد وتقعيداته **فلا يبحث في حكم التجويد بهذا المعنى - عند غالب المصنفين القدماء- لأنه أصل الكلام... وتواتره بمعنى ثبوته يقيناً قطعياً لا ارتياب فيه بدهي لأن التجويد هنا مخارج الحروف وصفاتها وهي التي تتكون منها ماهية الكلام العربي الفصيح**... مع ملحوظتين:

الأولى: أن المختلف فيه بين القراء في التجويد يرجع إلى أصول النطق العربي الفصيح أيضاً مما فيه سعة كاختلاف كلمة بين الإظهار والإدغام.

الثانية: أن الزيادة على أصول الكلام العربي الفصيح في التجويد إنما هو في الترتيل والتزيين والتحسين الذي أمرنا به في القراءة، فأصول علم التجويد وقواعده إذن كانت موجودة في الكلام العربي يحرص عليها القراء ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقرائهم، وإن لم تكن مدونة، شأنها في ذلك شأن قواعد النحو والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق.

---

(١) ابن كثير (٤/ ٣٨٥)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولذا فإن اختلاف القراء في إثبات بعض فروع علم التجويد الدقيقة:

مثل حكم الميم الساكنة عند الباء: هل هو الإخفاء أو الإظهار- على ثلاثة أقوال كما هو معلوم في مظانه [١]- يعزى إلى علم العربية، وذلك إذا كان ضمن القياس الجائز في علم القراءة لا الممنوع، وهو ما يتعلق بهيئة الأداء الداخلية في مواضع محدودة.

الأصل الثاني لعلم التجويد: علم القراءة:

حيث كان هذا العلم هو الذي يحوي علم التجويد من الناحية التطبيقية.

كيفية تشكل علم التجويد من علم القراءة:

١- إن متعلم قراءة القرآن يقوم يقرأ على الشيخ فيلقنه الشيخ كيفية القراءة مطلقاً أي ما تعلق منها بأصل اللفظ أو ما تعلق بأدائه، أو ما تعلق بتحسين صوته فيها وفق القواعد المتلقاة، فيأمره بالمد أو بالغنة أو بالإدغام.. وهكذا... ويلحظ الشيخ الخطأ في القراءة كما كانوا - تماماً- يلحظون الخطأ النحوي فيردونه على صاحبه طبيعة، على الرغم من عدم وجود مؤلفات في النحو... ثم إنهم نظروا إلى هذه الأحكام المتلقاة شفاهاً فدونوها أشباهاً ونظائر بالاستقراء... ثم جعلوها قواعد مسطرة، وضوابط مبثوثة في الكتب فاستقام منها علم القراءة مدوناً مكتوباً في كتبه، واحتوى فيما احتوى على أكثر علم التجويد من إدغام وإمالة ومد وقصر وتسهيل للهمز وغنة ومخارج للحروف والصفات... ولكن بصورة أوسع شملت ما كان مقتضى تلقائي من مقتضيات النطق الفصيح للغة العربية، ثم جمّل بما أمر به النبي ﷺ وأمر به من التحسين والتزيين والترتيل كمد المتصل فإن النطق العربي الفصيح يقتضيه، وقواعد الصرف توجبه وترتضيه، ولا بد من زيادة حسنه طلباً لترتيله وتزيينه وتحسينه... وهكذا بقية الأحكام.

---

(١) انظر ذلك في: المفيد في شرح عمدة المجيد ص ١٣٤ عند قول الناظم: لكن مع البا في إبانتها وفي إخفائها رأيان مختلفان.

http://www.al-maktabeh.com

٢- ثم بدأ علم التجويد ينفرد بالتأليف ليكون علماً مستقلاً يحتوي على ما يدل على النطق العربي الصحيح مما كان مختصاً بالمتفق عليه بين القراء وحال الاختلاف يذكر ما يتعلق برواية واحدة فقط... فانفرد كما انفرد علم أسباب النزول عن التفسير، وعلم عدد الآي عن علم القراءة.

الفرق بين علم التجويد وبين علم القراءة:

١- علم القراءات علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار في نفس حروف القرآن أو في صفاته، فإذا ذكر فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تتميم؛ إذ لا يتعلق الغرض به، وأما علم التجويد فالغرض منه معرفة ماهيات صفات الحروف، فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تتميم، فالتجويد يناقش حق الحرف ومستحقه، والقراءات يناقش بعد أن يكون حق الحرف ومستحقه قد صار من المسلمات.

٢- القراءات علم رواية واختلاف الألفاظ، والتجويد علم دراية فهو أداء تلك الألفاظ[١].

ومما ينبغي التنبيه له أن علم القراءة وعلم التفسير كانا متلازمين:

لم يستقل أحدهما عن الآخر، ولذا ذكروا أن القراءات جزء من علم التفسير، ويبين هذا قول مجاهد- رحمه اللّه تعالى-: «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه على كل آية أسأله فيما نزلت وكيف كانت» [٢]، وكما أن مجاهد كان إمام المفسرين فقد كان شيخ القراء كذلك وهو شيخ الإمام المكي ابن كثير الداري.

---

(١) انظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٠، مرجع سابق.

(٢) الحاكم (٢/ ٣٠٧)، الدارمي (١/ ٢٧٣)، ابن أبي شيبة (٦/ ١٥٤)، مراجع سابقة.

هل لتأخر التأليف في علم التجويد أثر سلبي؟:

لا يعني تأخر ظهور التأليف في علم التجويد أن القراء كانوا ينطقون القرآن قبل ذلك على غير أصل واضح، كما لا يعني أن علماء التجويد اختلقوا هذه الأصول أو ابتدعوها. فـ «تجويد القرآن **قد يحصله الطالب بمشافهة الشيخ المجود، بدون معرفة مسائل هذا العلم، بل المشافهة هي العمدة في تحصيله**، لكن بذلك العلم يسهل الأخذ بالمشافهة، وتزيد المهارة، ويصان به المأخوذ عن طريان الشك والتحريف» [1]، **فكانت أجيال المسلمين تجود القرآن بالمشافهة منذ عصر الصحابة حتى ظهرت المؤلفات التي تعني بالتجويد، وظلت المشافهة والتلقي عن الشيخ المتقن هي الأساس في قراءة القرآن وإتقان اللفظ بحروفه.**

المطلب الثاني: مكونات علم التجويد كما علمها النبي ﷺ

تمت صياغة مادة علم التجويد النظرية من المصدرين السابقين العملي والنظري، ثم واصل المتخصصون في علم التجويد أبحاثهم الصوتية وغيرها مستندين إلى تلك المادة، وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التقدم في دراسة الأصوات اللغوية.

ومن ثم فمن الجنف الشديد عند الكلام على حكم التجويد علماً وعملاً أن يتكلّم عنه بعيداً عن تصور مادته وماهيته وتصور أصوله الشرعية والنظرية، فتعليم النبي ﷺ أصحابه تجويد القرآن هو تعليم لمراتبه وأصوله الشرعية- بعد تقرير حداثة هذا المصطلح-، فيجب معرفة أصوله الشرعية حتى يتم الحكم عليها... شأنه في ذلك شأن البيوع المحدثة لا بد من ردها إلى أصولها الشرعية للنظر في أحكامها تحليلاً وتحريماً.

---

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٢٠، مرجع سابق نقلاً عن محمد المرعشس الملقب ساجقلي زاده ت ١١٥٠ هـ.

http://www.al-maktabeh.com

وتجويد الشيء في اللغة[١]:

هو إحكامه وإتقانه يقال جوّد فلان الشيء وأجاده إذا أحكم صنعته، وأتقن وضعه، وبلغ به الغاية في الإحسان والكمال سواء كان ذلك الشيء من نوع القول، أو من نوع الفعل [٢].

وأما اصطلاحاً:

له إطلاقان في اصطلاح علماء القراءة [٣]:

التجويد العلمي: معرفة القواعد والضوابط التي وضعها علماء التجويد ودونها أئمة القراءة من المخارج والصفات وأحكام النون الساكنة، والوقف والابتداء.

التجويد العملي: هو إحكام حروف القرآن وإتقان النطق بكلماته وبلوغ الغاية في تحسين ألفاظه والإتيان بها معربة بشرط النقل (التلقي).

ويقال: يجود فلان القرآن تجويداً: «إذا أتى بالقراءة مجودة الألفاظ، بريئة من الجور في النطق بها، لم تهجنها الزيادة، ولم يشنها النقصان» [٤].

ولا يتحقق الإعراب والإتقان للكلمات إلا بإعطاء الحروف حقها ومستحقها، ولذا ذهب بعضهم في تعريفه على أنه: إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه [٥].

وحق الحرف هو: صفاته الذاتية اللازمة له فلا تنفك عنه كالجهر والشدة والاستعلاء، وكالإعراب النحوي... فإن انفكت عنه فإن الانفكاك يغير ذات

---

(١) انظر في تعريف التجويد: التحديد في الإتقان والتجويد ص ٧٠، التمهيد ص ٥٩، نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ١١.

(٢) لسان العرب (٣/ ١٣٥)، مرجع سابق.

(٣) انظر: أحكام قراءة القرآن الكريم ص ٢٠.

(٤) جمال القراء وكمال الإقراء (٢/ ٥٢٦)، مرجع سابق.

(٥) انظر مثلاً: نهاية القول المفيد ص ١٢، أحكام تلاوة القرآن للحصري ص ١٥، مرجعان سابقان.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحرف فإن عصى ومحظور إذا لم يعط الصاد والظاء حقهما من الاستعلاء والإطباق يصيران عسى ومحذور.

ومستحقه هو: صفاته العارضة الناشئة عن الصفات الذاتية كالتفخيم فإنه ناشئ عن الاستعلاء والتكرير، والترقيق فإنه ناشئ عن الاستفال... والكسر والتفخيم متضادان لأن الأول يستدعي انخفاض اللسان والثاني يستدعي ارتفاعه... وهذا على سبيل الإجمال، وإلا فالتفصيل أن التفخيم لا ينشأ دائماً عن الاستعلاء... وكالإظهار والقلب والإخفاء فإنها ناشئة إما عن التماثل وإما عن التقارب وإما عن التباعد، وإما عن التجانس، وهذه من الصفات الذاتية التركيبية.. كما هو مبسوط في محاله.

ولأن التجويد يعتمد على التلقي فما زال العلماء يكثرون من التنبيه أن إتقان التجويد لا بد فيه من رياضة الألسن والتكرار للفظ المتلقى كما قال الداني: «ليس بين التجويد وبين تركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه»[١]؛ إذ تنشأ في حال التركيب أحكام غيرها حال الإفراد «**فمن أحكم صحة التلفظ حالة التركيب حصّل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب**» [٢]، وقال صاحب كشف الظنون عن هذا العلم: «**وهو كالموسيقي من جهة أن العلم لا يكفي فيه بل هو عبارة عن ملكة حاصلة من تمرن امرئ بفكه وتدربه بالتلقف عن أفواه معلميه**»[٣] والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم أو معذور كما قال ابن الجزري[٤].

---

(١) التحديد ص ٦٠، مرجع سابق.

(٢) التمهيد ص ٦٥، مرجع سابق.

(٣) كشف الظنون (١/ ٣٥٣)، مرجع سابق.

(٤) كشف الظنون (١/ ٣٥٣)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

وجميع ما عليه القراء من القراءة تجويد وتحقيق، وحسن أداء، فقراءة ابن كثير مع تسهيله كقراءة حمزة في التجويد، لأن المراد بالتجويد: إعطاء الحروف حقها، وإخراجها من مخارجها، واجتناب اللحن الخفي، وذلك لا يختلف بحدر ولا بتأن[1].

فأركان التجويد العملي ثلاثة هي:

أولاً: إحكام حروف القرآن، وإتقان النطق بكلماته، والإتيان بها معربة بإعطاء الحرف حقه:

وهذا الركن راجع إلى كون القرآن نزل بلسان عربي مبين... **فالعمل به واجب قطعي لا ريب فيه، ولولا ما تقتضيه الضرورة البحثية لكفت البديهة في تصور دليله.**

ولعل من أهم أسباب تأخر ظهور علم التجويد مدوناً مستقلاً غير اندماجه الظاهر في علم القراء: **اعتماده الشديد على التلقي من الأفواه**، وهذا مما يوضح أن الصحابة تعلموه من النبي ﷺ تلقائياً، لم يحتج إلى نص تفصيلي، لأنه جزء من البلاغ المبين للفظ القرآن الكريم، ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده هم متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراء المتصلة بالحضرة النبوية.

❖ **والموضوعات التي تتعلق بهذا الركن من علم التجويد** مخارج الحروف وصفاتها الأصلية، والإدغام الواجب المتفق عليه، والمد الواجب من لازم ومتصل بغض النظر عن مراتبه....

ثانياً: إحكام حروف القرآن، وإتقان النطق بكلماته بإعطاء الحرف مستحقه:

مستحق الحرف هو صفاته العرضية الناشئة عن الصفات الذاتية، وهذا الركن كالأول، غير أن الفارق بينهما أن صفة الحرف هنا لا تغير من ذاته في الغالب، فإن

---

(١) (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت ٦٤٣ هـ: جمال القراء وكمال الإقراء (٢/ ٥٢٦)، مرجع سابق.

الترقيق لا يغير من ذات الراء المفخمة، إنما يغير صفة الكمال فيها، والإشمام أو الروم لا يغير من ذات النون مثلاً.

❖ ويتعلق بهذا الركن موضوعات التجويد الأخرى مثل الصفات الفرعية من تفخيم وترقيق (دروس الراءات واللامات وحروف الإطباق)، وأبواب كيفية الوقف على أواخر الكلم...

ثالثاً: تحسين التلفظ بالحروف:

وهذا الركن هو ما يتميز به نطق الكلمات القرآنية عن نطق سائر الكلمات العربية، ولذا فالجمهور لا يدخلون العمل بالتجويد في الحديث النبوي، وهذا الركن هو الذي عبر عنه العلماء بقولهم: «**هو حلية التلاوة وزينة القراءة**»[1] من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، ومن أبرز من تميز به من الصحابة ابن مسعود، وأبو موسى الأشعري، وسالم مولى أبي حذيفة.

فالركنان الأولان هما التلاوة، وهما القراءة... ولا يتصور أداء اللفظ إلا بالأول، وينفر من أدائه دون الثاني في الفصيح، وأما الثالث فهو تحسينهما وتجميلهما.

وتظهر الأركان الثلاثة في تعريف صاحب كشف الظنون لعلم التجويد بأنه «علم باحث عن تحسين تلاوة القرآن العظيم **من جهة مخارج الحروف وصفاتها**، وترتيل النظم المبين بإعطاء الحروف حقها من الوصل والوقف والمد والقصر والإدغام والإظهار...» [2]. فتعبير العلماء عن التجويد بالتحسين مع أنه الركن الثالث؛ لأن الركنين الأولين دخلاً ضمناً، فلا يتصور تحسين للفظ بغيرهما.

---

(١) الكامل للهذلي ص ١٩ وجه ب، مصورة مخطوطة عند الباحث. ملحوظة: وردت مصطلحات التلاوة والأداء والقراءة في هذا الموضوع: «و الفرق بين الثلاثة أن التلاوة: قراءة القرآن متتابعاً، كالأوراد والأسباع والدراسة، والأداء: الأخذ عن المشايخ، والقراءة: تطلق عليهما، فهي أعم منهما» انظر: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة.

(٢) كشف الظنون (١/ ٣٥٣)، وانظر: أبجد العلوم (٢/ ١٤٤)، مرجعان سابقان.

http://www.al-maktabeh.com

المطلب الثالث: حكم التجويد كما علّمه النبي ﷺ

أما الركنان الأولان من التجويد فلا يرتاب أحد في أن النبي ﷺ قد علّمهما أصحابه رضي اللّه عنهم لأن ذلك من مقتضيات نزول القرآن بلسان عربي مبين، إذ أصل أصول هيئة الأداء: عربية اللسان، وكل دليل للركن الثالث هو دليل للركنين السابقين.

ودليل تعليم النبي ﷺ لأصحابه الركن الثالث:

١- **أمر اللّه عزّ وجلّ النبي ﷺ بتجويد القرآن:** والنبي ﷺ إنما تلقاه مرتلاً من جبريل عليه السّلام كما في آية الفرقان ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وأمر بأن يقرأه كما سمعه من جبريل عليه السّلام كما في آية المزمل ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وآية القيامة ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، ووقع ذلك منه عملياً كما في حديث المعالجة [1]، ولا شك أننا مأمورون بالاقتداء به ﷺ.

٢- قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]: أي يقرؤونه حق قراءته، وهي قراءة تأخذ بمجامع القلب فيراعى فيها ضبط اللفظ والتأمل في المعنى، وحق الأمر والنهي.

وإعطاء اللفظ حقه في التلاوة: تظهر ضرورته الشرعية من هذه الآية وهذا هو التجويد؛ إذ عرّف العلماء (التجويد) بأنه إعطاء الحرف حقه ومستحقه، فالتجويد من حق تلاوة الكتاب العزيز، وقد روى الطبري أن ابن مسعود رضي اللّه عنه كان يقول: «إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، **وأن يقرأه كما أنزله اللّه عزّ**

---

(١) وتفصيل ذلك في كتاب تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم ص ١١٣، مرجع سابق.

وجلّ، ولا يحرفه عن مواضعه» [١]، وعن قتادة قال في معنى الآية: «يتبعونه حق اتباعه- قال- اتباعه يحلون حلاله ويحرمون حرامه **ويقرؤنه كما أنزل**».

٣- قوله جل جلاله: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

٤- أحاديث التحسين للقرآن، والتزيين لتلاوته، والتغني به، كما قال النبي ﷺ: «**اقرؤوا القرآن وتغنوا به..**»، وقال ﷺ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن**»...

٥- واشتد اهتمام النبي ﷺ بتعليمهم قواعد تجويد القرآن تلقيناً كقوله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة**»، «والمهارة في القرآن جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة بتيسير الله تعالى كما يسره على الكرام البررة، **فالماهر بالقرآن هو الحافظ له مع حسن الصوت به، والجهر به بصوت مطرب بحيث يلتذ سامعه**» [٢].

٦- **وأعظم أدلة وجوب التجويد العملي هو** التلقي القرآني المتواتر تواتراً ضرورياً.

ويشير إلى ذلك ما جاء عن علي رضي الله عنه: «**إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا كما علمتم**» [٣]، وحدد لهم بعض المعلمين فقال: «**خذوا القرآن من أربعة من بن أم عبد فبدأ به ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة**»[٤]، وهذا هو معنى قول الجزري في المقدمة:

والأخذ بالتجويد حتم لازم ... من لم يجود القرآن آثم

---

(١) الطبري (١/ ٥١٩)، مرجع سابق، تفسير الجلالين ص ٢٥، مرجع سابق.

(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥١٩)، مرجع سابق.

(٣) ابن حبان (٣/ ٢١)، مرجع سابق.

(٤) البخاري (٣/ ١٣٨٥)، مسلم (٤/ ١٩١٣)، الحاكم (٣/ ٢٥٠)، الترمذي (٥/ ٦٧٤)، مراجع سابقة.

http://www.al-maktabeh.com

لأنـــه بـــه الإلـــه أنـــزلا وهكـــذا منـــه إلينـــا وصـــلا

«أي أن القراءة بالتجويد واجبة لأن اللّه أنزل القرآن به، فتجويد القرآن وصلنا من اللّه بسلسلة الإسناد الجليلة هذه، إذ إن المقصود الاصطلاحي بتجويد القرآن: قراءته على الصفة التي قرأه بها النبي ﷺ وأداؤه بالهيئة التي أداه بها» (١).

فعلم التجويد بأركانه «هو عبارة عن وصف اصطلاحي لما ثبتت الرواية به من صفة قراءة النبي ﷺ، وإلا فالمقصود هو تلك الهيئة التي نزل بها الوحي، وتلقاها رسول اللّه ﷺ من جبريل مشافهة، عرضاً وسماعاً، كما سبق بيانه، وأقرأ بها عدداً من أصحابه» (٢).

فهذه النصوص واضحة الدلالة على أن القراءة توقيفية، فلا يجوز أن يقرأ أحد إلا بالهيئة التوقيفية المتلقاة من الحضرة النبوية، والتي يتعلمها مشافهة من المقرئين، وقد عين النبي ﷺ لجيل الصحابة رضي اللّه عنهم هؤلاء المقرئين ليتعلموا منهم القراءة، ويتلقوا منهم نص القرآن، وذكرهم ليس على سبيل الحصر، فقد نوه النبي ﷺ في أحاديث أخرى بقراء آخرين من الصحابة رضي اللّه عنهم(٣).

❖ وأكد النبي ﷺ على تجميل الصوت وتحليته عند قراءة القرآن الكريم فعن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت**» (٤)، وعن البراء رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً**»(٥)، وعن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: سمعت رسول

---

(١) انظر: سنن القراء ص ٢٨، مرجع سابق، وانظر تفصيل ذلك في كتاب التلقي الفصل الثالث كاملاً.

(٢) انظر: سنن القراء ص ١١٠، مرجع سابق.

(٣) انظر: سنن القراء ص ١١٠، مرجع سابق.

(٤) المختارة (٧/ ٨٨)، مرجع سابق، ونحوه ذكره في مجمع الزوائد (٧/ ١٧١)، مرجع سابق.

(٥) الحاكم (١/ ٧٦٨)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

اللّه ﷺ يقول: «**إن حسن الصوت يزين القرآن**»[١]، **وتسلسلت المنهجية:** فعن علقمة أنه قرأ على ابن مسعود رضي اللّه عنه فقال: «رتل فداك أبي وأمي فإنه زينة القرآن»[٢]، وفي رواية عنه قال: كنت رجلاً قد أعطاني اللّه حسن الصوت، وكان ابن مسعود يرسل إلي فأقرأ عليه القرآن فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «حسن الصوت زينة للقرآن»[٣].

المسلمون في أغلبهم الأعم يقومون بالأركان الثلاثة:

وحتى لا يبادر البعض بالإنكار على وجوب ما سبق فإنه يجب تقرير حقيقة واقعة في حياة المسلمين هي: أن المرتبة الثالثة حقيقة ملموسة واقعية فلا تجد صغيراً ولا كبيراً ولا رجلاً ولا امرأة ولا شاباً ولا هرماً **إلا غير نبرة تصويته عند قراءة القرآن الكريم إلى هيئة فيها تغن ظاهر كل حسب قدرته وطاقته الصوتية.**

وعلى هذا يحفظ هذا الكتاب المجيد من جميع الجهات:

فثم غاية لقراءة القرآن هي التدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] سواء كانت اللام أن تكون للتعليل أو للعاقبة.

وثم مقتضى يوجبه التدبر هو الخشوع ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

---

(١) الشاشي في مسنده (١/ ٣٣٩)، مرجع سابق، وهو في مجمع الزوائد (٧/ ١٧١)، مرجع سابق.

(٢) ابن الجعد (١/ ٤٩٦)، الطبراني في الكبير (١٠/ ٨٢)، الفردوس بمأثور الخطاب (٢/ ١٤١)، مراجع سابقة.

(٣) الطبراني في الكبير (١٠/ ٨٢)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

وثم طريقة لقراءة هذا الكلام هي التلاوة بالترتيل وتحسين التصويت به، فليست قراءة القرآن كمعتاد الكلام، أو إلقاء الشعر.

فتحصل بمجموع ذلك كله: **وجوب ترتيل (تجويد) القرآن كما تلقي وسمع مع المنع من غثاثة الإفراط في التغني للتوقيفية التعبدية المحضة.**

فالواجب الشرعي في التجويد: وهو ما أجمع عليه القراء كالإخفاء والإدغام والإظهار والقلب وترك المد فيما أجمع على قصره وترك القصر فيما أجمع على مده وغيره ذلك مع أن الواجب من المد هو القدر المجمع عليه مما ليس فيه خلاف، وتزيين القراءة بحيث تختلف عن سجية معتاد الكلام حال التلاوة، فهذا هو الواجب الشرعي؛ إذ يمثل الترتيل المأور به، ويبقى العذر بالجهل مانعاً من وقوع العامي في الإثم، ولكن أي عذر لمتعلم جامعي في أرقى التخصصات الفنية ألا يعرف كيفية قراءة كتاب اللّه الكريم أكثر من العامي أو الأمي؟.

وحقيقة الوجوب هنا قائمة على ركائز:

- ❖ توفر الحد الأدنى من أحكام التجويد مما هو مجمع عليه بين القراء، فليس من الواجب تحقيق المد تماماً وإنما المجيء بأصله الذي يسمى به مداً، وكذلك الغن، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق مخرج الحرف وصفته... ولذا ذكر قالون عن نافع أنه كان يمد ويحقق القراءة، ولا يشدد، ويقرب بين المدود وغير المدود، قال ابن مجاهد: وكذلك مذهب ابن كثير وأبي عمرو [1]، **وقال حمزة:** ترك الهمز في المحاريب من الأستاذية [2]، والمراد ترك الكمال في ذلك كله.

---

(١) (الداني) أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي ت ٤٤٤ هـ: التحديد في الإتقان والتجويد ص ٨٧، مرجع سابق.

(٢) (السخاوي) علم الدين علي بن محمد ت ٦٤٣ هـ: جمال القراء وكمال الإقراء (٢/ ٤٧١)، مرجع سابق، ويراجع كلام السخاوي القيم في الدفاع عن ابن عامر وحمزة.

❖ **تحسين الصوت تغنياً وتزييناً بالمستطاع:** والمراد تغيير نغمة الصوت عند التلاوة على هيئة مميزة للقرآن الكريم.

❖ **أن الأركان الثلاثة تتفاوت في وجوبها، فالأول لا تسمى القراءة قراءة إلا به، والثاني يخل بعرف القراءة وقد يخل بالمعنى، ووجوبه في درجة أدنى، والثالث يخل بعرف تلاوة القرآن ووجوبه أقل مما سبقه، والتساهل فيه كائن، واللّه أعلم.**

http://www.al-maktabeh.com

المبحث الثالث:

تعليمه ﷺ أهمية التجويد وضوابطه الشرعية

بعد معرفة الأصول الشرعية للتجويد وتصور ماهيته، وحكم تعلمه، لا بد من الإشارة إلى وسائل النبي ﷺ في بيان أهميته، واجتناب ما يضاده، وبيان حدوده، وهو ما يتحدث عنه هذا المبحث، ولذا انقسم إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعليمه ﷺ أهمية التجويد.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ اجتناب اللحن.

المطلب الثالث: تعليمه ﷺ ضوابط التجويد.

المطلب الأول: تعليمه ﷺ أهمية التجويد

علمهم النبي ﷺ أهمية التجويد من وقت مبكر من البعثة حيث نزلت سورة المزمل... **ومن معالم تعليمه ﷺ للصحابة أهمية التجويد:**

١- كان النبي ﷺ يعلمهم القرآن حرفاً حرفاً:

وهذا إنما يكون بالتلقين القرآني للحروف مصحوبة بالترتيل حتى قال عبد الله بن مسعود في وصف تعليم النبي ﷺ لهم التشهد «**كما يعلمنا السورة من القرآن**»[(١)]، ومثله حديث ابن عباس، وجابر في تعلم الاستخارة[(٢)]، فيحتمل أن يكون وجه الشبه هو التكرار، **ويحتمل دقة التلقين، والاهتمام بدقة الحفظ** والأظهر أن ذلك شمل الأمرين معاً، **ويدل على ذلك وعلى تسلسل هذه المنهجية أيضاً أن**

---

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ٣٤٩)، مرجع سابق.

(٢) البخاري (١/ ٣٩١)، مرجع سابق.

إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي والأسود بن يزيد بن قيس النخعي رويا عن عبد اللّه بن مسعود أن رسول اللّه ﷺ علمه التشهد في الصلاة فقالا: «**كنا نحفظه عن عبد اللّه بن مسعود كما نحفظ حروف القرآن الواو والألف**»(١)، وقد شدد ابن مسعود رضي اللّه عنه في ذلك «حتى أخذ على أصحابه الواو والألف فيه كي يوافقوا لفظ رسول اللّه ﷺ»(٢).

❖ **ويدل قوله «الواو والألف»:** على تحري الحروف وعدم إبدالها بغيرها، ويحتمل أن يكون المعنى إتقان نطق الحرف، والتشديد على ما يخل به الإنسان عادة كالحركات (التي تسمى في علم الأصوات: الألفونات والمصوتات) التي قد تتعرض إلى البتر إذا كانت طويلة، أو إلى المط إذا كانت قصيرة... فيُحمل على العموم، وذكر الألف والواو يدل على مقدار الإتقان في الحفظ والأداء معاً كما قال مجاهد: «صليت خلف مسلمة بن مخلد فافتتح البقرة فما أخطأ فيها واو ولا ألفاً»(٣).

٢- جعل الترتيل (التجويد) القرآني مقياساً لدقة الترتيل في غيره:

و لذا كانوا يشبهون دقة تعليم أي شيء آخر بتعلم ألفاظ القرآن كالتشهد والاستفتاح والاستخارة، والأذان الذي يؤدى مرتلاً مغنى به.

---

(١) صحيح ابن خزيمة (١/ ٤٣٨)، ابن أبي شيبة (١/ ٢٦٢)، مرجعان سابقان.

(٢) شرح معاني الآثار (١/ ٢٦٥).

(٣) ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٩)، الحاكم (٣/ ٥٦٥)، مرجعان سابقان، ومسلمة المذكور هو الأنصاري الزرقي صحابي معروف ولد في السنة الأولى للهجرة، كان أميرا لمصر ومات وهو وال عليها سنة ٦٢ هـ انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٥)، المعين في طبقات المحدثين ص ٢٦، مشاهير علماء الأمصار ص ٥٦.

http://www.al-maktabeh.com

٣- وقد كان ﷺ يعلمهم مد الصوت في الأذان فكيف تراه في تعليم القرآن؟:

فعن أبي محذورة رضي اللّه عنه قال: **ألقى علي رسول اللّه ﷺ التأذين «حرفاً حرفاً» هو بنفسه فقال قل اللّه أكبر... قال: ثم ارجع فمد من صوتك...** الحديث[1]. فالمراد بمد الصوت هنا رفع الصوت وإطالة المد بنداوة.

٤- ديمومة الإقراء لهم بالترتيل ليصير عادة قرآنية في التلاوة:

فكانوا يسمعون القرآن منه ﷺ مراراً، فيكون ذلك مراساً لهم على الحفظ وإتقان الأداء على ما هو معلوم من صلاته الجهرية، وحلقاته القرآنية وإقرائه الفردي وتبليغه العام.

٥- تقديم الأقرأ في أهم العبادات وهي الصلاة:

وقد أمر أن يؤمّ بالقوم الأقرأ، وهذا يدل على اهتمامه بتعليمهم ما يتفاضلون فيه في القراءة، والأقرأ «محتمل لشيئين أحدهما أن يكون المراد به أحفظهم للقرآن، وهو المتبادر الثاني: أحسنهم تلاوة للقرآن باعتبار تجويد قراءته وترتيلها»[2]، ولا شك أن الأكثر قراءة هو الذي جمع بين الأمرين وعليه عمل عامة المسلمين إلى اليوم.

٦- تقسيم قرأة القرآن إلى قسمين: الماهر، والمتعتع:

فعن عائشة- رضي اللّه تعالى عنها- قالت: قال رسول اللّه ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السّفرة الكرام البررة والّذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقّ وفي لفظ: والّذي يقرأ وهو يشتدّ عليه له أجران له أجران»**[3].

---

(١) أبو داود ١/ ١٣٧، مرجع سابق.

(٢) البحر الرائق (١/ ٣٦٨)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤/ ١٨٨٢)، مسلم (١/ ٥٤٩).

❖ **والماهر بالقرآن:** أصل المهارة الحذق بالسباحة، والمراد بالمهارة بالقرآن جودة الحفظ وجودة التلاوة من غير تردد فيه[١]، فالماهر هو «الحاذق الكامل الحفظ الذي لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه»[٢]، ولذا ففي رواية البخاري: «**مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له**»[٣] فالماهر من اجتمع فيه شرطان: جودة الحفظ، وإتقان الأداء «**فالمهارة في القرآن** بهذا جودة التلاوة بجودة الحفظ فلا يتلعثم ولا يتشكك وتكون قراءته سهلة...» [٤].

❖ وثواب الماهر أن يكون مع الملائكة أو الرسل وياله من حظ وشرف، وسبب ذلك أن اللّه تعالى يسره عليه كما يسره على الملائكة فكان مثلها في الحفظ والدرجة»[٥]، «و يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له في الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة؛ لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب اللّه تعالى، ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم» [٦].

❖ **وأما التتعتع** فهو «التردد في الكلام عيّاً وصعوبة»[٧] والذي يتتعتع فيه هو الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه، أو لصعوبة أدائه وإتقانه وقوله «و هو شديد عليه» أي يصيبه شدة ومشقة، والشدة والمشقة قد تكون في حفظه، وقد تكون في أدائه، وقوله «له أجران»: أجر بالقراءة، وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته[٨].

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥١٩)، مرجع سابق.

(٢) انظر: شرح النووي (٦/ ٨٤)، مرجع سابق.

(٣) البخاري (٤/ ١٨٨٢)، مرجع سابق.

(٤) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥١٩)، مرجع سابق.

(٥) انظر: فتح الباري (١٣/ ٥١٩)، مرجع سابق.

(٦) انظر: شرح النووي (٦/ ٨٤)، مرجع سابق.

(٧) انظر: القرطبي (١/ ٧)، مرجع سابق.

(٨) انظر: شرح النووي (٦/ ٨٤)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

❖ وليس معنى الحديث أن الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً؛ «لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره»[١] كما يقال أيضاً: «درجات الماهر فوق ذلك كله لأنه قد كان القرآن متعتعاً عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة»[٢].

٧- فرضية أداء المستطاع في تلاوة القرآن الكريم من الترتيل:

كما دل عليه الحديث السابق.

٨- وكان النبي ﷺ يجعل ميادين تجويد القرآن مختلفة ليرسخ بأكثر من أسلوب:

وذلك كالصلاة الجهرية الجماعة، وحلقة التعليم، والتعليم الفردي، والصلاة الفردية، والقراءة الفردية فكان يرفع الصوت بالقراءة، ولا شك أن من المقاصد الشرعية لذلك سماع القرآن لفظاً وكيفية (أداء) فعن أم هانئ قالت: كنت أسمع قراءة النبي ﷺ **وأنا على عريشي**[٣].

❖ **وتسلسلت هذه المنهجية** فقد علم الصحابة رضي اللّه عنهم تلاميذهم ذلك كما تعلموه من النبي ﷺ فأخبروهم أن من أعظم واجبات حامل القرآن تلاوته بالحق أي بأحكامه ليس التلاوة المجردة فعن شقيق قال: أتى عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه بمصحف قد زين فقال: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق[٤].

---

(١) انظر: شرح النووي (٦/ ٨٤)، مرجع سابق.

(٢) انظر: القرطبي (١/ ٧)، مرجع سابق.

(٣) ابن ماجة (١/ ٤٢٩)، وقال في مصباح الزجاجة (١/ ١٥٩)، مرجع سابق: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

(٤) سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٤٨٥)، مرجع سابق، وقال المحقق: «سنده صحيح».

وقد نبه الصحابة رضي اللّه عنهم تلاميذهم إلى ضرورة التزام التجويد:

❖ وذموا تاركه فعن حذيفة رضي اللّه عنه: «**إنّ من أقرأ الناس للقرآن منافقاً لا يدع منه واواً ولا ألفاً، يلفته بلسانه كما تلفت البقرة الخلى بلسانها**»[١]، فقد وسم من لا يعطي الحروف حقها بالنفاق وذلك أن اللفت هنا من قولهم: الرّاعي يلفت الماشية بالعصا، أي يضربها بها، لا يبالي أيها أصاب، والمعنى: «يقرؤه من غير رويّة ولا تبصّر بمخارج الحروف، وتعمّد للمأمور به من الترتيل والترسّل في التلاوة، غير مبال بمتلوّه كيف جاء؛ كما تفعل البقرة بالحشيش إذا أكلته، وأصل اللّفت ليّ الشيء عن الطريق المستقيمة»[٢]، وقد يحتمل عند الباحث أن يكون المعنى: اهتمام المنافق بالقراءة حتى لا يترك منه ألفاً ولا واواً إلا أتقنه ليفتن الناس بذلك.

❖ ومن ذلك ما جاء عن أبي جمرة قال قلت لابن عباس: إني (رجل) سريع القراءة، إني أهذّ القرآن «و ربما قرأت القرآن في ليلة مرة أو مرتين». فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة البقرة فأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله «فإني كنت فاعلاً لابد فاقرأه قراءة تسمع أذنيك ويعيه قلبك»[٣]... وهذا الأخير هو حدّ الحدر الاصطلاحي.

❖ **وصيغة التفضيل (أحب) في قول ابن عباس** لا تدل على جواز قراءة القرآن بغير ترتيل بل تدل على الاستبداد، وتشبه في ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١١]، أو يكون من باب الترتيل الذي بمعنى التأني والتؤدة (يطابق التحقيق الاصطلاحي)، والمفاضلة بينه وبين الهذّ وهو

---

(١) ابن أبي شيبة (٦/ ١٢٧)، مرجع سابق، صفة المنافق ص ٥٩ للفريابي.

(٢) انظر: الفائق في غريب الحديث (٣/ ٢٢٤).

(٣) البيهقي في الكبرى (٣/ ١٣)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

الإسراع (يطابق الحدر الاصطلاحي) مع بقاء الأحكام الواجبة في كل منهما، كما سيأتي في مراتب الترتيل- إن شاء اللّه عزّ وجلّ- في المبحث القادم.

ومن أهم معالم تعليم النبي ﷺ لهم أهمية التجويد: تعليمه اجتناب اللحن، وهو ما يأتي في الفصل التالي.

المطلب الثاني: تعليمه ﷺ اجتناب اللحن[1]

الدلالة اللغوية والاصطلاحية للحن:

ذكر بعضهم للحن ستة معان: الخطأ في الإعراب، واللغة، والغناء، والفطنة والتّعريض والمعنى[2] ومنه قول الشاعر:

منطق صائب وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحناً

وأما اللحن في اصطلاح القراء فهو: هو الميل عن الصواب فهو خطأ يطرأ على القراءة فيخل بعرف القراءة وبمعناها وهو الجلي، أو يخل بالعرف دون المعنى وهو الخفي.

وقد جعل النسفي «الخطأ في القراءة ستة أنواع أحدها: في الآية والثاني في الكلمة والثالث في الحروف والرابع في الإعراب والخامس في قطع الكلمة والسادس في الوقف والابتداء» ثم جعل للثلاثة الأولى ستة أوجه «و هي الزيادة والنقصان والتقديم والتأخير والإبدال والتكرار... وجعل الضابط في فساد الصلاة

---

(١) انظر في مناقشة موضوع اللحن من زاوية تجويدية: التمهيد ص ٧٦، مرجع سابق، نهاية القول المفيد ص ٢٢، مرجع سابق.

(٢) انظر: لسان العرب (١٣/ ٣٧٩ و١٣/ ٣٨١)، مختار الصحاح (١/ ٢٤٨)، مرجعان سابقان.

في الغالب هو تغير المعنى عند أبي حنيفة ومحمد وأما أبو يوسف فيشترط اللفظ»[١]، وعلى هذا الجماهير أن الخطأ اللفظي لا يغتفر في فساد الصلاة لقادر على التعلم.

ومن معالم أمر النبي ﷺ باجتناب اللحن وتصحيحه:

١- **الأمر بإعراب القرآن:** وذلك كائن بإعطاء كل حرف حقه ومستحقه، وهو معنى التجويد، والأمر بإعراب القرآن إبعاد للركن الأساسي من أركان اللحن الجلي، وقد «جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيهم رضوان اللّه عليهم من تفضيل إعراب القرآن، والحض على تعليمه، وذم اللحن وكراهيته ما وجب به على قراء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه»[٢] كما جاء عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه**»[٣]، وعن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**أعربوا القرآن فإن من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات وكفارة عشر سيئات ورفع عشر درجات**»[٤]، **ومعنى إعراب القرآن** كما قال الحليمي: «شيئان أحدهما أن يحافظ على الحركات التي بها يتميز لسان العرب على لسان العجم، والآخر أن يحافظ على أعيان الحركات ولا يبدل شيئاً منه بغير لأن ذلك ربما أوقع اللحن أو غير المعنى»[٥]، وكذلك أن يؤدي لكل حرف حقه

---

(١) من مصورة مخطوطة للشيخ أبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي ورقة ١ وجه أ في ملك الباحث، والصورة مستجلبة من مخطوطات كتب خانة بالهند.

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٢٣)، مرجع سابق وقد نقل ذلك عن أبي بكر الأنباري.

(٣) الحاكم (٢/ ٤٧٧)، مرجع سابق وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على مذهب جماعة من أئمتنا ولم يخرجاه»، وفي مجمع الزوائد (٧/ ١٦٣): «رواه أبو يعلى وفيه عبد اللّه بن سعيد بن أبي سعيد المقبري وهو متروك»، وهو في ابن أبي شيبة (٦/ ١١٦)، وانظر: خلدون الأحدب (دكتور): زوائد تاريخ بغداد على الكتب السنة (٦/ ٢١٦)، دار القلم- دمشق ط ١، ١٩٩٦ م- ١٤١٧ هـ وقال في إسناده عند الخطيب: «إسناده ضعيف جداً».

(٤) الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٠٧)، مرجع سابق، مجمع الزوائد (٧/ ١٦٣)، مرجع سابق، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه نهشل وهو متروك».

(٥) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٩)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً، وإنما تكون دقائق العربية بتطبيق دقائق التجويد لأن حقيقة التجويد البحث عن أحوال الحروف ودقائق النطق بها[١].

وتسلسلت المنهجية فقال ابن مسعود رضي اللّه عنه: «أعربوا القرآن فإنه عربي وسيكون بعدكم أقوام يثقفونه وليسوا بخياركم»[٢]، والظاهر أن معنى يثقفونه أي يلتقطون كلامه التقاطاً كأنهم لا يبالون بإعرابه، أو يسردونه دون مبالاة ببيانه، وكان عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه يقول: «أعربوا القرآن فإنه عربي، وتفقهوا في السنة، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وإذا قص أحدكم على أخيه فليقل اللهم إن كان خيراً فلنا وإن كان شراً فعلى عدونا» [٣].

٢- الأمر الصريح باجتناب اللحن عموماً وتصحيحه لمن وقع فيه:

فعن أبي الدرداء رضي اللّه عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً قرأ فلحن فقال رسول اللّه ﷺ: «**أرشدوا أخاكم**»[٤] وعن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أنه قال: «تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تعلموا القرآن »[٥]، وعن أبي بن كعب قال: «تعلموا اللحن في القرآن كما تعلمون القرآن»[٦]. **وأما ما ورد** عن ابن عباس رضي اللّه عنهما مرفوعاً: «**إذا قرأ القارئ فأخطأ أو لحن أو كان أعجمياً كتبه الملك كما**

---

(١) انظر: لسان العرب (١/ ٥٩٠)، مرجع سابق.

(٢) سعيد بن منصور (١/ ١٤٦)، الطبراني في الكبير (٩/ ١٣٩)، شعب الإيمان (٢/ ٤٢٩)، مراجع سابقة، وقال فيه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٣)، مرجع سابق: «رواه الطبراني من طرق وفيها ليث بن أبي سليم وفيه ضعف وبقية رجال أحد الطرق رجال الصحيح»، ومعنى يثقفونه كما قال البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٥٤١)، مرجع سابق: «يعني يسردونه»، وجاء الجزء الأول منه «أعربوا القرآن» مرفوعاً وموقوفاً في المعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٣٩)، مرجع سابق.

(٣) سعيد بن منصور (٢/ ٢٦٧)، مرجع سابق.

(٤) الحاكم (٢/ ٤٧٧)، مرجع سابق، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٥) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٩)، مرجع سابق.

(٦) شعب الإيمان (٢/ ٤٢٩)، مرجع سابق.

نزل»[١] فالمراد به- إن صح- كأن يبدل «حرفاً بحرف لفقد معلم أو عجز أو لحن فيه بأن حرفه أو غير إعرابه»[٢]، وليس معنى هذا الحديث إلا معنى الآخر (الماهر بالقرآن) ففي هذا الحديث «أن القارئ يكتب له ثواب قراءته، وإن أخطأ ولحن لكن محله إذا لم يتعمد ولم يقصر في التعلم وإلا فلا يؤجر بل يؤزر»[٣].

والتجويد معرفة الصواب في القراءة واجتناب الخطأ، فمعرفة اللحن هي الركن الثاني من ركني الإتقان في هذا الباب، وقد أشار إلى ذلك الخاقاني بقوله:

فأول علم الذكر إتقان حفظه ومعرفة باللحن من فيك إذ جرى
فكن عارفاً باللحن كيما تزيله وما للذي لا يعرف اللحن من عذر[٤]

❖ **ملحوظة:** ظهر أن أكثر ما ورد من أحاديث وآثار في هذا المطلب ضعيفة ضعفاً غير منجبر لكن الباحث ذكرها محاولة للإحاطة بما ورد في الباب، ولأن أصل الموضوع قائم في التلقي ذاته... إذ عملية الإقراء والتلقين قائمة على سماع الصواب وتسميعه في اللفظ والأداء، ونفي الخطأ المنع منه في اللفظ والأداء أيضاً.

المطلب الثالث تعليمه ﷺ ضوابط التجويد

وكما أن النبي ﷺ علمهم التجويد وأهميته، ونفّرهم من اللحن فقد علمهم الضوابط التي تضبط طريقة أداء اللفظ القرآني لئلا يحدث البغي في ترتيل ألفاظ القرآن، وهيئات التصويت بحروفه بحيث لا يغالى في تجويد القرآن، ولا يوغل في

---

(١) الفردوس (١/ ٢٨٩)، مرجع سابق.

(٢) فيض القدير (١/ ٤١٦)، مرجع سابق، وقال: «و فيه هشيم بن بشير قال الذهبي حافظ حجة مدلس عن أبي بشر مجهول».

(٣) فيض القدير (١/ ٤١٦)، مرجع سابق.

(٤) محمد مكي نصر: نهاية القول المفيد في علم التجويد ص ٢٢، طبع بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: راجع هذه النسخة وصححها على محمد الضباع ربيع الثاني ١٣٤٩ هـ.

http://www.al-maktabeh.com

التغني به حتى يخرج عن كونه قرآناً معظّم اللفظ والمعنى إلى جعله كلاماً مغنى اللفظ متروك المعنى، **ومن معالم تعليمه في ذلك:**

١- المنع من الغلو في ترتيل لفظ القرآن:

فعن أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إن من إجلال اللّه إكرام... حامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه...**»[١]، والغلو هو المبالغة في التجويد، أو الإسراع في القراءة بحيث يمنعه عن تدبر المعنى، والتشديد ومجاوزة الحد في العمل به، وتتبع ما خفي منه واشتبه عليه من معانيه، وأما قوله «و لا الجافي عنه» أي وغير المتباعد عنه المعرض عن تلاوته وإحكام قراءته وإتقان معانيه والعمل بما فيه[٢]، ولذا نبه أهل العلم على ضرورة ألايخرج التغني بالقرآن عن حده المعلوم، فالأمر بالتجويد وما يتبعه من تغن: «إذا لم يخرجه التغني عن التجويد، ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف، فإن انتهى إلى ذلك عاد الاستحباب كراهة» [٣].

٢- التخفيف في المطالبة بالدقة البالغة لأحكام التجويد خاصة للعامة:

كما جاء عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنه قال: خرج علينا رسول اللّه ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابي والأعجمي فقال: «**اقرؤا فكل حسن، وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه**»[٤]، وعن سهل بن سعد الساعدي رضي اللّه عنه قال: خرج علينا رسول اللّه ﷺ يوماً ونحن نقترئ فقال:

---

(١) أبو داود (٤/ ٢٦١)، مرجع سابق.

(٢) انظر: عون المعبود (١٣/ ٣٢)، مرجع سابق.

(٣) فيض القدير (٤/ ٦٨)، مرجع سابق.

(٤) سنن أبي داود (١/ ٢٢٠)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

«الحمد للّه كتاب اللّه واحد وفيكم الأحمر وفيكم الأبيض وفيكم الأسود اقرؤه قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله» [١].

❖ **فقوله:** «اقرؤا فكل حسن»: أي فكل واحدة من قراءتكم حسنة مرجوة للثوب، ولا عليكم ألاتقيموا ألسنتكم إقامة القدح وهو السهم قبل أن يراش «وسيجيء أقوام يقيمونه»: أي يصلحون ألفاظه وكلماته ويتكلفون في مراعاة مخارجه وصفاته (كما يقام القدح): أي يبالغون في عمل القراءة كمال المبالغة لأجل الرياء والسمعة والمباهاة والشهرة، وقال الطيبي - رحمه اللّه تعالى-: «وفي الحديث رفع الحرج وبناء الأمر على المساهلة في الظاهر، وتحري الحسبة والإخلاص في العمل، والتفكر في معاني القرآن »[٢]، وهذا يعطي سعة في عدم التعمق في إتقان التجويد، والتساهل في ذلك ما دامت أصول القواعد ظاهرة وذلك مثل وجود الحد الأدنى من المدود الفرعية فيغض النظر عن توفر الكمال فيها، وجاء رجل إلى نافع فقال: تأخذ عليّ الحدر، فقال نافع: ما الحدر؟ ما أعرفها، أسمعنا. قال: فقرأ الرجل، فقال نافع: الحدر، أو قال حدرنا، ألانسقط الإعراب، ولا ننفي الحروف، ولا نخفف مشدداً، «ولا نشدد مخففاً»، ولا نقصر ممدوداً، ولا نمد مقصوراً، قراءتنا قراءة أكابر أصحاب رسول اللّه ﷺ سهل جزل، لا نمضغ، ولا نلوك [٣].

❖ وقد أشار إلى بعض ذلك الإمام السخاوي في منظومه بقوله:

لا تحسب التجويد مداً مفرطاً أو مد ما لا مد فيه لوان
أو أن تشدد بعد مدّ همزة أو أن تلوك الحرف كالسكران

---

(١) سنن أبي داود (١/ ٢٢٠)، مرجع سابق.

(٢) عون المعبود (٣/ ٤٢)، مرجع سابق.

(٣) (الداني) أبو عمرو عثمان بن سعيد الأندلسي ت ٤٤٤ هـ: التحديد في الإتقان والتجويد هامش ص ٩٣، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com

أو أن تفـــوه بهمـــزة متهوعـــاً فيفـــر ســـامعها مـــن الغثيـــان
للحـــرف ميـــزان فـــلا تـــك طاغيـــاً فيـــه ولا تـــك مخســـر الميـــزان[١]

٣- ألا تؤدي أحكام الترتيل إلى إلغاء الغاية من التلاوة وهي التدبر:

فتصبح القراءة بذلك مجرد مثار للطرب: كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩]، ولذا قيل في قول أنس رضي اللّه عنه: «**يمد صوته مداً**» «أي يطيل الحروف الصالحة للإطالة يستعين بها على التدبر والتفكر وتذكير من يتذكر»[٢] وليس الإطالة للتطريب المجرد.

وهذا الوصف هو الذي يتأتى منه الغرض من التلاوة وهو التدبر والتأمل كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، كما أنه هو الوصف الذي يتأتى معه الغرض من خشوع القلب كما في قوله جل جلاله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣] ولا تتأثر به الجلود والقلوب إلا إذا كان مرتلاً، فإذا كان هذاً كالشعر أو الكلام العادي لما فهم، وإذا كان مطرباً كالأغاني لما أثر، فوجب الترتيل كما بين[٣].

وتسلسلت المنهجية فنقل الصحابة ذلك الهم فعلموه تلاميذهم فعن حذيفة قال: «ليقرأن القرآن أقوام يقيمونه كما يقام القدح لا يدعون منه ألفاً ولا يجاوز إيمانهم حناجرهم»[٤].

---

(١) (ابن أم قاسم) الحسن بن قاسم المرادي ت ٧٤٩ هـ: المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد ص ١٥، تحقيق: د. علي حسين البواب، مكتبة المنار، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م، الزرقاء- الأردن.

(٢) حاشية السندي (٢/ ١٧٩)، مرجع سابق.

(٣) انظر: أضواء البيان (٨/ ٦١٠)، مرجع سابق.

(٤) سعيد بن منصور في سننه (١/ ٢٤٩)، مرجع سابق.

مكتبة المهتدين الإسلامية

٤- عدم التدافع المعنوي واللفظي في القرآن:

فنهاهم النبي ﷺ عن أن يخطئ بعضهم بعضاً فيما كان الأمر فيه واسعاً في تأدية الألفاظ أو في دلالاتها، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قوماً يتدارءون في القرآن فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه**»[1].

(١) أحمد (٢/ ١٨٥)، مرجع سابق، الجامع لمعمر بن راشد (١١/ ٢١٦)، مرجع سابق.

http://www.al-maktabeh.com